المشايخ والاستعمار

حسني شيخ عثمان



حسيني شيخ عثمان



الطبعـة الرابعـة

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



المشـايخ والاسـتعمار

١

قامت سلسلة ممطولة من الحروب بين الأمة الإسلامية والأمم النصرانية ابتدأت ولم تنته بعد، وسميت «بالحروب الصليبية» كان آخرها الحملة الصليبية التي قادها الجنرال «أللنبي» الذي تبجح عند دخوله القدس منتصراً في أوائل هذا القرن بقوله: «الآن انتهت الحـروب الصليبية». والذي استقبل بعدها ـ عند دخوله مجلس العمـوم البـريطاني ـ بعـاصفـة من التصفيق، وقدمه رئيس وزراء بريطانيا على اعتباره بطل الحملة الصليبية التاسعة والأخيرة.

سـنة اللـه

٢

ويرى المدقق الفاحص أن سنة الله ماضية منذ بدء التاريخ إلى يوم القيامة **(ولينصرن الله من ينصره)** صدق الله العظيم. فطالما أن الأمة أخذت بتعاليم الإسلام طاعة للأوامر واجتناباً للنواهي، طالما لازمها نصر الله وتوفيقه، وكانت خير أمم الأرض زمن الطاعة.. وما أن تولي ظهرها لتعاليم هذا الدين القويم حتى يسلط الله عليها ذلاً لايرفعه عنها إلا عودتها إلى دينها.

ويذكـر من له إلمام بتاريخ الأمة الإسلامية هذه السنة الإلهية على مر العصور. ولقد كان آخر تفلت للأمة الإسلامية من دينها هو ذلك التفلت الأخير الذي جر عليها الحروب الصليبية الحديثة

التي سميت «الحروب الاستعمارية» ـ تشويهاً للراية وطمسا للحق ـ ولما تتخلص الأمة الإسلامية من هذا الذل بعد؛ لأنها لم تأخذ بأسباب الخلاص.

٣

كانت بريطانيا أشد دول الصليبية عداء للإسلام وشراسة في حرب دين التوحيد. . ولا تزال. . ولقد جربت بريطانيا الاحتكاك بالمسلمين في شبه القارة الهندية بعد أن احتلتها وحكمتها، ولقد تعرفت جيداً على هؤلاء المسلمين إثر الثورة الإسلامية المشهورة عام ١٨٥٧م التي سحق الانكليز فيها المسلمين الهنود. . فالأيام دول. . وكان بيد الانكليز أحدث عدد الدولة الصناعية الاستعمارية الفتية، بينما لم يكن بيد المسلمين الهنود شيء من القوى المادية.

ودرس الانكليز نفسية المسلمين وتعرفوا على عقيدتهم فكتب «هنري هاملتون تامس» في كتابه «ثورة الهند الماضية وسياستنا المقبلة» عام ١٨٥٨م «**إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير دين الإسلام، لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن**». ذلك لأن بريطانيا كانت بسبيلها آنذاك للسيطرة على كل البلاد الإسلامية التي أصبحت تسمى «دول العالم الثالث» ومرض عليها واقع «الدول المتخلفة» **وسميت فيما بعد ـ إرضاء لخواطر غوغائها ـ «الدول النامية» وأضيف إليها دول أمريكا اللاتينية للتمويه. . إذ بدون هذه الإضافة يمكننا أن نسميها العالم الإسلامي أو مواطن الشعوب الإسلامية.**

توصل مفكرو الصليبية من أعداء الإسلام وعاونهم على هذا خبثاء يهود - إلى التقريرات التالية.

١- لا تزال عند المسلمين إمكانية قيام مقاومة!

٢- إن مصدر القوة عند المسلمين هو استمساكهم بالإسلام الذي وحد شعوباً شتى وقبائل متباينة، وجعل من المسلم الفيليبيني أو الأندنوسي نسخة لا تكاد تختلف في شيء عن المسلم الهندي أو العربي أو الزنجي في الخلق والمعاملة والنهج.

٣- إن نبع الإسلام - الذي لا ينضب - هو القرآن الكريم، وهو الذي يصدر عنه جميع المسلمين. والمسلمون أمام القرآن فريقان:

الفريق الأول خاصة: هم العلماء العاملون الذين يقرؤون القرآن ويفهمونه ويتدبرونه ويسيرون على نهجه،ويعلمونه للناس، ويقودون الأمة.

والفريق الثاني عامة: متبعون يطبقون تعاليم القرآن ائتمارا بتقريرات العلماء العاملين.

٤- كما وصلوا إلى نتيجة فحواها أن القرآن - مصدر قوة المسلمين الذي يمدهم بدفعات الإيمان ويثبت أقدامهم في

نضالهم ضد عدوهم ـ إن هذا القرآن طالما بقي يتردد في قلوب المؤمنين فإن مصدر الخطر باق، وهو يهدد النصر الذي وصلت إليه الصليبية في حملتهـا الأخيرة. ولـذلـك صاح صائحهم وزير مستعمراتهم «غلادستون» في مجلس عمومهم: طالما أن هذا القرآن بيد المسلمين فلن يقر لنا في بلادهم قرار!

٥ـ يجب إعدام القرآن..!! هكذا قرر أعداء الإسلام، لكن تجاربهم في صولاتهم وجولاتهم مع القرآن على مر الدهر ـ سواء في الهند أو بلاد العرب ـ نبهتهم إلى عقم المحاولات الجاهدة لمحو القرآن وإعدام نسخه فكادوا له مكيدة وخطوا له خطة تعتمد على منهاج علمي مدروس من الملاحظة والتجربة والاستقراء ـ وهم أهل هذه العلوم في هذا الزمان.

أسـس الخطـة

٥

كانت الملاحظة التي بنى أعداء الإسلام خطتهم عليها **«أن بقاء القرآن يتردد في قلوب المؤمنين مرهون ببقاء دور العلماء في أمة المسلمين صلة وصل بين عامة المسلمين وقرآن ربهم»** وتعتمد هذه الملاحظة على الأسس الثلاثة التالية:

١ـ أساس نفسي في التعليم والتعلم مفاده أن المتعلم لا يقبل العلم إلا ممن يحبه ويحترمه.

٢- منهاج المسلمين في التلقي والذي تلخصه وصية التابعي الجليل «محمد بن سيرين» رحمه الله **«إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»**. ولقد سارت هذه الأمة الإسلامية على هذا النهج في التلقي كابراً عن كابر، فهي ترفض تلقي الدين إلا من مسلم، عالم عامل بعلمه ثقة.

٣- ضخامة عدد علماء هذه الأمة وخذلان الصليبية في تصفيتهم - رغم ما بذلت في إعدام جماهير غفيرة منهم - عند كل احتلال.

الخطـــة

٦

وتأسيساً على ما سبق معرفته ودرسه عندهم خلصوا الى الخطة النكـراء التي تبنى على أن قطع الصلة بين عامة المسلمين وبين علماء الأمة يقطع الصلة - عملياً - بين القرآن وأمة القرآن، ويمحو القرآن تدريجياً - من قلوب الأمة، إذ سينشأ جيل لا يطبق أحكام القرآن لأنه لا يفهمه ويرفض أن يفهمه ممن يفهمه.

وبـدأوا حملة مسعـورة مستتـرة استعملت كل أفـانين الدعاية والإشاعة وأساليب علم النفس والاجتماع لتشويه سمعة علماء الأمة حتى تكـرههم الأمـة وتـرفض من ثم - الائتمـار بأمرهم أو التأثر بعلمهم، وتكـاتفت جهود الصليبية واليهودية ومن تبعهما للإجهاز على سمعة علماء القرآن في قلوب أمة القرآن.

ولم يأبه لهذه الحملة في البدء علماء الأمة ولا عامتها. . ولكنها على مر السنين آتت أكلهـا النجسـة الهـدامـة. . وأفـاقت الأمـة الإسلامية على جيل جديد له نظرة جديدة. . جيل آمن. . ـ كما أراد أعداء الإسلام ـ بأن العلماء قوم غير صالحين. . قوم رجعيون، جامدون، متخلفون، متعفنون، رجال دين يشابهون كهنوت النصارى[1].

. . وكان هذا الجيل. . الذي يعد نفسه مسلما ويريد التمسك بالقرآن، ولكنه يرفض علم العلماء بحجة أنهم قوم غير صالحين، ويريد إسلاماً يطابق أهواء نفسه. . بل هو يريد إسلاماً يخالف ما عليه حال هؤلاء العلماء وتقريراتهم؛ لأنه يرفض كل ما يجيء من عند هؤلاء القوم «المتخلفين الرجعيين المتعفنين»! حتى ولو كان هو الحق المنزل من عند الله!

---

(١) طبقة رجال الدين «الكهنوت»: طبقة موجودة فى كل الأديان التي اخترعها البشر سواء أكان الدين ابتداعا من الشيطان، أم تحريفا للدين السماوي. . أما الإسلام دين الله فيعتبر كل مسلم من الأمة الإسلامية رجل دين.

أين رأس الخيـط؟

٧

سنلقي فيمـا يأتي بعض الأضـواء على صور يعـرفها كثير من الناس. . ويحسب بعضهم أن قصة الصورة حدثت مع ذلك الجـار أو ذاك القريب. . لكنه عند التدقيق على أصل القصة يضيع الخيط في أوكار بريطانيا العظمى وعملائها في بلاد المسلمين. فان أنت دققت النظر؛ رأيت أصابع الشر وعرفت كثيراً من المجرمين ممثلي أدوار هذه الخطة النكراء، وإليك الصور:

الشـيخ

٨

الشيخ في العربية: من استبانت فيه السن، أو بلغ خمسين سنة أو إحـدى وخمسين إلى آخـر عمره، أو إلى الثمانين. وجمعها: شيوخ وأشياخ ومشيخة ومشايخ. . إلخ.

«والشيخ» لفظة تطلق عند العامة على الكبير في السن أو القدر، وأطلقت على رئيس العشيرة أو القبيلة أو القرية أو الحي أو «الكار» وهي تطلق عندهم أيضاً على العالم مع من تطلق عليهم من الأكابر.

لكن المتـآمرين على القرآن جعلوها تطلق أول ما تطلق على علمـاء المسلمين لتصفهم بكبـر السن، وشيء من الخـرف،

والبلادة، والتخلف، والرجعية.. أما إن هي أطلقت على من لا يوصف بعلم إسلامي فلا بأس بتعظيمها لمن تطلق عليه وتبجيلها إياه.

الشيخ الخوري:

٩

وساروا في مسألة تمييع اللفظة بعد إطلاقها على علماء المسلمين وأصروا أن يسموا بها بعض صليبيي هذه الأمة من أحفاد الصليبيين أو عملائهم من نصارى لبنان بصورة خاصة فهذا «الشيخ بشارة الخوري» وهذا «الشيخ بيار الجميل» واستطاعوا ـ بدهاء ـ أن يعمموا مفهومين متناقضين للفظة واحدة على نوعين من البشر، فإن هي أطلقت على نصراني لم تعبه بل هي تشرفه وترفعه، وإن هي أطلقت على عالم مسلم كان مدلولها ما قد ذكرنا من الخرف والجمود والبلادة والتأخر والرجعية.

وسيق دهماء المتعلمين قارئو الصحف والملصقات والمساخر (الكاريكاتورات) لينطبعوا بهذا الطابع الصليبي في فهم مدلولات المصطلح.

بل قادوا ونجحوا في أن يقرنوا لفظة الشيخ بأسماء بعض الأعلام من المنحرفين والرقاصين والمخنثين وذلك في إشاعة دعاياتهم وعروضهم الإعلامية؛ «كالشيخ سيد درويش»، «والشيخ زكريا

أحمد» وأكابر المجرمين من الملحدين «كالشيخ مجيب الرحمن» الـذي دأبت إذاعـة لنـدن على ذكـره مقـروناً بهذا اللقب لتعلمه لسامعيها من المسلمين تعليماً مكروراً لا يزال يذكره من يذكره!.

أنا الشيخ تاج عزوني

١٠

بعـد أن أجهـزت الحملة الصليبية التـاسعـة على الخـلافـة الإسلامية المتمثلة بآخر خلفاء بني عثمان آنذاك ودخلت جيوش الغزاة من صليبي فرنسا ما سمي بعد ذلك بـ: «دولة سورية». التي ضمت بعد قيام الوحدة السورية دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويين، ودولة الدروز.. إلخ.

وبعد أن أساءت فرنسا إلى عالم سورية آنذاك «الشيخ بدر الدين الحسنى» وسرحته من جميع وظائفه، واستقر لها المقام؛ أرادت أن تتقرب إلى الشعب متظاهرة بشيء من الندم على ما أجرمت بحق الشعب في شخص عالم البلاد، فعينت فرنسا الشيخ تاج الدين بن الشيخ بدرالدين الحسني «رئيساً» للجمهورية السورية.

وللذين عاشـوا أيام الشيخ تاج في سورية انطباعات سيذكرها التاريخ بعد حين عن مدة حكمه إلا أن الصورة التي سنعرضها هنا تختص بآخر عهد حكمه مما له تعلق بموضوع رسالتنا هذه.

ففي أواخر عهد «الشيخ تاج» قامت عصابة من المهرجين طافت في كل حواضـر البلاد السورية آنذاك لتمثل هذه الهزلية المؤلمة الهادفة: يركب مهرج عاهر على حمار «بالمقلوب» أي موجها ظهره لرأس الحمـار ووجهـه لذيله، ويضع المهرج عمامة على رأسه، ويمسـك بذيل الحمـار - الـذي يوضع على رأسه عمامة أيضاً - ويتخلع المهرج بحركات بذئية وهو يصيح: «أنا الشيخ تاج عزوني» فتجيبـه الدهماء من الأولاد والسفهاء الذين يتبعون كل ناعق ولا يفقهـون ماذا يقولون: «كذا عليك، كذا عليك»، كلمة لم يقدم أدب المظاهرات والاستعراضات والمسيرات أقذع منها ولا أبذأ ولا أخبث رائحة ولا نجساً.

كذلك كان هتافهم الهادف «يا شيخ تاج يا بومة يا بو لفة[1] مبرومة» وفي الفتـرة نفسهـا امتـلأت جدران الحـواضـر السورية بمساخر «كـاريكـاتورات» تمثل حماراً كتب عليه «الشيخ تاج» وقد رسموا على رأس الحمار عمامة أيضاً.

---

(١) اللفّة: هي العمامة التي يضعها علماء المسلمين على رؤوسهم في بلاد الشام، ويسميها العوام «لفّة» لأنها تُلف على الرأس لفاً، وكان الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الجمهورية السورية - آنذاك - مُعَمَّماً، يلف عمامة بيضاء على طربوش أحمر فوق رأسه.

لم تكن هزلية «أنا الشيخ تاج عزوني ولا رسوم الحمير على الجدران» مقاومة سياسية للشيخ تاج الحسني أو لعهده - إذ لم يوجد لذلك على الحقيقة مقاومين - إنما كانت هي المرة الأولى التي يتجرأ فيها - وفي البلاد الشامية على إهانة شعار من شعارات الإسلام - وهو العمامة - لتوضع على رأس مهرج أو حمار - وليهان لأول مرة أيضاً لقب «شيخ».

المضروبة بيلبقلا[1]

١١

قصة شائعة لا يكاد شامي يجهلها عن «شيخ» فحواها أنه بينما كان «الشيخ فلان» يدرس العامة (وكان الدرس عن النساء أو هو للنساء على اختلاف الرواة!) وينهى عن التبرج ويبين مضاره. . إذ بأحد السامعين (أو إحدى السامعات) يسأله: ولكن يا شيخي لماذا تتبرج زوجتك وتقوم هي بما تنهانا عنه أنت! فيجيب «الشيخ فلان» بكل بساطة: المضروبة «بيلبقلا» ومعنى هذه العبارة في اللهجة العامية السورية أن زوجته الحبيبة يليق بها ذلك. ويكاد الراوي يعين لك اسم الذي سمعها. أو التي سمعتها - من «الشيخ فلان» مباشرة ولكنه لا يفعل! والعجيب في أمر هذه القصة أنها - على

(١) بيلبقلا كلمة عامية سورية، أصلها اللغوي: يلبق بها، ولبق به الثوب: لاق له.

قدمهاـ شامية حلبية حمصية حموية، **لا تكاد تخلو من تردادها مدينة أو قرية**، يقصها عوامها عن أحد «شيوخها» بالاسم، وأن «الشيخ فلان هذا صاحب المقولة التي أصبحت علماً في الغمز بالمشايخ الذين يقولون ما لا يفعلون! **وتجد القصة يلبسها «شيخ» من كل بلد**، أو يُلبسونها «شيخ» **من كل بلد فهي محبوكة ومفصلة على القياس**، **في متجر الحملة الصليبية الأخيرة على سمعة علماء المسلمين وقطع صلة عوام المسلمين بالقرآن الكريم**.

المشايخ والسلتات[1]

١٢

مع أن علماء المسلمين هم الذين يعلمون الناس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

ومع هذا تجد الحملة منصبة على المشايخ والعلماء، وتجد المجرمين أعداء الإسلام يسقطون كل طرف أشعب، وجحا وتشنيعات السبئية، على علماء المسلمين ليصوروهم بصور.

(١) السلتة: كلمة عامية تعطى معنى الذهاب إلى وليمة، ولها أصل في اللغة وسلت القصعة: مسحها باصبعه.

الـطفيليين والشحـاذين ويصفـوهـم بالبـطنـة وإراقة ماء الوجه في التسـابق لحضور الولائم، فتسمع كلمة شائعة إذا أَوْلَم أحدهم وليمة للفقراء قال: «عزمنا المشايخ» وإذا دعا الأولاد والفقراء الذين يقـرؤون القـرآن في المقـابـر قال: «دعـونا المشايخ» وإن جلب أحـدهم طائفـة من المشعـوذين والـدجـالين ليعزموا عزائم الجن والشياطين قال «جلبنا المشايخ» . . وهكذا . .

فتـوى بفرختـين

١٣

حتى وصل الأمر بأحد رؤساء الدول العربية المسلمة، عندما اختلف مع علماء الأمة ووقفوا في وجهه يدافعون عن دين الله لا يخافون في الله لومة لائم؛أن اتهم علماء المسلمين «المشايخ» بأن أحدهم لا يتورع عن تقديم الفتوى - أي فتوى - مقابل فرختين أو أقـل مع أن أعـداد الـذين قتلهم من علماء الأمة لا تحصى كي يتساهلوا معه في أمور شرعية فقدموا حيواتهم ولم يغيروا دين الله .

الأزهـري

١٤

أما عن تفاصيل المعركة فى مصر فحدث عن الطوفان ولا حرج، هذا البلد الإسـلامي الـطيب الذي وجهت إليه الصليبية مسمومة

السهام في محاولة للإجهاز على الإسلام قبل أن تستيقظ الأمة الإسلامية من هول ضربة إلغاء الخلافة وسقوط الراية من يد الأتراك، ولئلا تتلقف الراية يد مصرية تعيد الخلافة والدولة الإسلامية في كرة حرب جديدة مع الصليبية.

ولقد قدمت إنجلترا في معركتها ضد الإسلام في مصر أنواعاً شتى من الأساليب المباشرة وغير المباشرة لدحر الإسلام من قلوب المسلمين في كل الأوساط خاصة تلك التي يسمونها «ثقافية» والتي تضم ـ على تقسيم الثورة الفرنسية اليهودية الكبرى ـ الرقاصين والمهرجين والفنانين والأدباء والصحفيين.. إلخ.. إلا أن الأزهريين مبعدون بل **أصبح زي العمامة والقفطان والجبة ـ وهو الزي المعروف لعلماء الأمة ـ أصبح في مصر رمزاً للتخلف والرجعية بل أصبح رمزاً للسخرية في الأوساط «الثقافية» الإعلامية.**

فالأزهر الشريف يمنح خريجيه إجازات وشهادات «دينية» لا تخول صاحبها «التمتع» بالوظائف الحكومية.. إذ لا بد للتمتع بهذه الوظائف من شهادة المدرسة الرسمية التي وضع منهاجها «دنلوب» المبشر النصراني الخبيث.

لقد أشاعوا في مجالات الاعلام «السينما والتلفزيون والجريدة والمجلة» صورة للأزهري مضحكة وشرعية في نفس الوقت.. فهو رجل يلبس ثوباً فضفاضا وجبة وعمامة، ويمتاز ببساطة وسذاجة،

بل وغفلة، ويتشدق بالفصيح من الكلام بأسلوب متكلف يتقعر بفظاظة لينفر الناس من العربية ويضحك الناس على نفسه وعلى الفصيح من اللغة. . وتتكرر الصورة في كل مجال إعلامي دعائي. . وإليك الصورة الأولى.

أبجد هوز

١٥

تقاطرت على مصر هجرة منظمة من «المثقفين» وبخاصة من نصارى لبنان؛ أخذوا أمكنة الصدارة من واجهتها الإعلامية. فتجد روّاد المسرح فيها: جورج أبيض، ودولت أبيض من نصارى لبنان، وتجد رواد التهريج فيها: نجيب الريحاني من نصارى العراق، وبشارة واكيم من نصارى لبنان، وتجد رواد الصحافة فيها: أديب اسحق، ويعقوب صروف، وسليم تقلا، وبشارة تقلا، وسليم جميل، وأنطون جميل، وجورجي زيدان، وأميل زيدان من نصارى لبنان. ومن لا يليق به أن يكون رائداً ألحقوه بالروّاد إلحاقاً كماري زيادة[1] (مي) ألحقوها بروّاد الأدب. وأخطؤوا أي خطأ حين أرسلوا جبران خليل

(١) كانت نهاية حياتها في «العصفورية» مستشفى المجانين في جبل لبنان.

جبران إلى أميركا، وكان أجدر بهذا الرائد من روّاد العهر والإلحاد أن يرسل إلى مصر لينفث سمومه فيها. .(٢)

في مصر ـ ذلك البلد المسلم الطيب ـ وفي أوائل القرن العشرين يقوم «أهل الفن» بإنتاج «فيلم» هزلي باسم «غزل البنات» كله سباب للغة العربية، ولأخلاق علماء هذه الأمة والناطقين بفصحاها. ويتولى كبر «بطولة» جريمة التمثيل في هذا «الفيلم» النصراني نجيب الريحاني، (رائد فن التهريج في مصر. والأمة العربية!). وتشاطره «البطولة» ليلى مراد، اليهودية إحدى رائدات الفسق وفن الغناء والتمثيل بمصر في بداية هذا القرن. . تلك اليهودية التى قاطعت السلطات السورية «أفلامها» ومنعت إذاعة أغانيها! من إذاعتها الرسمية سنين طويلة في أثناء حملة مقاطعة البضائع والمنتجات اليهودية.

اليهودية: في دور ابنة باشا مصري (مسلم طبعاً).

والنصراني: في دور مدرس لغة عربية يستقدمه الباشا ليعلم ابنته المدللة آداب اللغة العربية ونحوها وصرفها.

---

(٢) لم يتمحض النصارى ليكونوا رواد الفساد المرسلين إلى مصر، فقد أرسل إليها الموسيقار الدرزي فريد الأطرش وأخته رائدة الغناء والجاسوسية اسمهان، وكذلك فلقد كان يعقوب صنوع (أبونضارة) أحد روّاد الصحافة المشهورين يهودياً وليس نصرانياً.

ويقع مدرس اللغة العربية فى ابنة الباشا المدللة ؛ على أسلوب وقوع النصراني في اليهودية، وترى في ذلك «الفيلم» الموجه مالا يقدر على الإتيان به «تلكم الأيام» إلا النصارى واليهود. ثم تغني الممثلة اليهودية أغنية لا تزال تتردد من إذاعات الأمة العربية بين حين وآخر[1]: «أبجد هوز حطي كلمن شكل الأستاذ بقا منسجمن أستاذ حمام..»

فهل كانت أغنية «أبجد هوّز» وفيلمها «غزل البنات» إلّا كرَّةً من كرّات المعركة المستعرة للإجهاز على سمعة علماء الدين ولغته العربية في أنفس عامة المسلمين!.

المـأذون

١٦

صورة لا يكاد يخلو منها «فيلم» مصري أو مسرحية أو مجلة على مدى نصف قرن، وهي صورة رجل «شرعي الهيئة» له عمامة على رأسه،ولحية في وجهه،إلا أنها مختصرة في غالب الأحيان.. وجبة على جسمه، ومن الضروري أن يكون «المأذون» قصير القامة، صغير الجسم، زري الهيئة، يضعون في إحدى يديه كتاباً ـ إشارة

(١) أعلنت اليهودية إسلامها فيما بعد فسامحتها السلطات العربية التي قاطعت أفلامها وأغانيها ورفعت الحظر عنها. أما أخوها منير مراد ـ أحد رواد الموسيقى الفكاهية بمصر ـ فقد عجّب المحققين، الذين لم يجدوا عند موته أي أثر يدل على هويته وتابعيته، فلا هو مصري ذو جنسية، ولا أجنبي يحمل جواز سفر، ولا أي شيء.. ومع ذلك.. دفنوه!.

للعلم ـ وفي الأخرى سبحة ـ إشارة للذكر ـ وهو يمثل في «الفيلم» أو «المسرحية» دور «الشرع الإسلامي» ـ كتابة أو تصريحا ـ على اعتباره خادماً للبشر ـ موافقة لما كتب صاحب «الدين في خدمة الشعب» فما أن يتفق في «الفيلم» عاهر وعاهرة على «الزواج» وهما على «بار كباريه» أو في ما هو اسوأ. . . إلا ويحضر «المأذون» في «العجل العجل» ولا يبقى عليهم في هذه الدعايات إلا أن يجعلوا الممثل العاهر يصفق بيديه ليقول للنادل «الجرسون». . هات واحد مأذون.

أما العاهر الآخر الذي يمثل دور المأذون؛ فتجده يتقعر بالعربية محاولاً أن «يغلط» بالجملة الواحدة عدة غلطات كاسراً موازينها «رافساً» قواعدها برطانة لا تسمعها إلا من «مهرج مصري» ثم يتمتم لهم بما يسمونه «الفاتحة» وهي «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد ولا الضالين آمين» ويقوم ببعض الاجراءات المضحكة بأسلوب ساخر من الذين «يؤمنون» بالزواج وهو يطقطق بسبحته، ولا ينسى العاهر ـ ممثل دور المأذون ـ أن «يبصبص» بعينيه على العروس أثناء عقد القران، وغالبا ما «يغمزها» بإحدى عينيه من وراء نظارته «المهدلة» غمزة خليعة لها معنى. . أي معنى!

١٧

لا تعجبوا إن ذكر لكم - أو اعجبوا إن شئتم - أن إحدى رائدات فن التمثيل المسرحي في مصر «الفنانة المناضلة!» «روز اليوسف» قد أسست دار نشر كبرى تصدر عنها مجلتان سياسيتان! أسبوعيتان، إحداهما . . سياسية جداً، أسمتها الفنانة باسمها الفني، وصدر عنها أيضاً - أعني عن الفنانة - ولد «أديب»[1] ربته الفنانة تربية ثقافية! سياسية! عالية!

دأبت مؤسسات الفنانة المناضلة (دار النشر والمجلتان والأديب) على إشاعة الإلحاد والإباحية في منشوراتها على مدى عمرها وبمختلف الأساليب التقدمية! المباشرة وغير المباشرة.

يجد القائمون على مجلة الفنانة المناضلة الفرصة سانحة عند إقالة العالم الجليل حسنين محمد مخلوف من منصبه في مركز

---

(١) من آثار الأديب! . . «لا أنام» و«الوسادة الخالية» القصتان اللتان أحدثتا ضجة في عالم الأدب المكشوف جدا آنذاك لشدة تقدميتهما، إذ كانتا مفتاح باب جديد من أبواب «قلة الأدب» لم يعرفها «الأدب» العربي بعد ومثلتا في السينما وكان «العندليب الأسمر» أحد أبطالها!

أما الأولى: فهي ترجمة قصة إباحية لكاتبة مراهقين فرنسية اسمها «فرنسوا ساغان» سرقها الأديب. وعرب أسلوب الدعارة فيها كي تنسجم في الحياة الشرقية آنذاك ولم يذكر الأديب أنه ترجم أو عرب أو سرق!

الإفتاء، فيدأبون على مدى سنتين على نشر مساخر «كاريكاتورات» أسبوعية تملأ كل واحدة منها نصف صفحة من مجلة الفنانة المناضلة (وتصغر نفس المسخرة «الكاريكاتير» في الأسبوع الثاني على صفحة المجلة الثانية كي لا تفوت القارىء الذي فاتته المجلة الأولى). وعنوان المسخرة الدائم هو «الشيخ متلوف» وفيه صورة تشبه «المأذون» سالف الذكر، مع شيء من السباب الساخر للإساءة لأخلاق «الشيخ متلوف» ذي الهيئة الإسلامية الشرعية!!

هرون الرشيد

١٨

أمير المؤمنين الذي كان يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة نفلاً - إن لم يمنعه مانع سفر أو مرض - والذي كان يحج سنة ويغزو أخرى، والذي اجتهد الباطنيون وكتابهم من مؤلفي (ألف ليلة وليلة، والأغاني، ومروج الذهب، ورسائل إخوان الصفا، ونوادر جحا، ونوادر أبي النواس، وروايات التاريخ الإسلامي) في تشويه سمعته في الشرق والغرب.

تحتل مسخرة «كاريكاتور» «هرون الرشيد» بعد مسخرة «الشيخ متلوف» الصفحات نفسها من كلتا المجلتين! ويلبس الفنانون التقدميون «هرون الرشيد» لباس هيئة شرعية لعالم من علماء المسلمين، وغالبا ما يمثل الرسم «المسخرة» منظراً داعراً يليق

بالقـائمين على «روز اليوسف»، وتشم من الـرسم رائحـة الحقد الـزيداني الخبيث[1] على الإسـلام وتـاريخ الإسـلام ورجـالاته، وعنوان «الكاريكاتير الداعر» هرون الرشيد.

عمامـة الغـزالي

١٩

في مناقشات «ميثاق» عبدالناصر يطالب الشيخ محمد الغزالي أن تستمـد جميع القـوانين من الشـريعـة الإسلامية، وأن ترفض القوانين الغربية.

وتشتد حملة «الصحافة» في اليوم التالي على الشيخ والمشايخ، ويقدم رسام المسخرة والزجال المهرج صلاح جاهين صورة مسخرة «كـاريكاتير» تمثل الشيخ محمد الغزالي يركب حماراً وقد وقعت عمامته على الأرض ـ بتأثير «جاذبية نيوتن» والشيخ يصيح، نرفض القوانين الأوروبية!.

---

(١) الحقد الزيداني: نسبة إلى الصليبي الدساس جورجي زيدان مؤسس دار الهلال في مصر، وصاحب روايات الدس والافتراء والكذب والتشويه على التاريخ الإسلامي ورجاله الأمجاد.

وفي المسخرة «الكاريكاتير» دس هادف وتحريف خبيث، إذ أن قانـون الجاذبية قانون كوني سنه الله رب العالمين مع ما سن من قوانين ناظمة لشؤون الكون،لا يستطيع مخلوق أن ينفك عنها أو أن يتمرد عليها، أما «نيوتن» فلقد صاغ هذا القانون على صورة معادلة رياضية عرفت باسمه،**ولم يقصد الشيخ الغزالي - من قريب ولا بعيد - رفض القوانين الكونية الإلهية في الرياضيات والطبيعة والكيمياء، وإنما قصد الشيخ إلى ضرورة تطبيق النوع الثاني من القوانين التي سنها الله ناظمة لعلاقات الإنسان مع الإنسان، وهي التي جعلها الله سبحـانه اختيارية، يستطيع الإنسان أن يحتكم إليها ويحكم بها ليكون مسلماً، أو يرفضها ويردها ليكون كافراً.**

ولكنهـا فرصـة للتحـريف وصـرف الأنظار عن مقصود الشيخ اهتبلها رسام المسخرة وزجال التهريج للنيل من المشايخ!.

الجاسـوس الانكليزي

٢٠

يذكر الدعي الانكليزي «لورنس» في كتابه «الثورة العربية» وهو يتحدث عن الفترة التي كان فيها يعمل جاسوساً يغزو باسم انجلترا بلاد الشام «وأخذت طوال الطريق أفكر في سوريا. وفي الحج، وأتسـاءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح، هل تحل

المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟ . . هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق).

فمع أن مهامه كانت كثيرة وكان من أهمها تدمير الخط الحديدي الذي يربط استانبول بالمدينة المنورة. وكان جاداً بالعملية التخريبية إلا أن ما يشغل بال الجاسوس الانكلزي الدعي هو تدمير أشد وأنكى من ذلك التدمير!

لا شيخ ولا مفتي

٢١

وفي آخر المطاف ونحن نستعرض هذه اللوحات الهادفة في الحملة الماكرة على القرآن الكريم نَسْمَّع إلى «مصروع» جديد يفضح بكلامه عداءه للقرآن الكريم، وعمالته لأعداء هذا الدين، يسمي ثورته ثورة الإسلام، وما هو إلا ثائر على الإسلام، يقول الرجل بصراحة مفضوحة تبدي سوءات الباطنيين من أعداء الإسلام التي كانوا يحاولون سترها، والثائر الجديد لا يستحيي من كشف سوآته.

ويجابه قول رب العالمين صراحة، فالله عز وجل يندب الأمة الإسلامية لاستنفار طائفة من العلماء والفقهاء تتخصص في

استنباط الأحكام وإنذار باقي الأمة المجاهدة ليكونوا لها مرجعاً في فهم آيات الله وأحكامه فيقول الثائر الجديد: (لا نريد من يشرح لنا القرآن ولا من يفسره لنا، لا نريد شيوخ ولا نريد مفتي، المسلمون كلهم أحرار في شرح القرآن، ولا داعي لوجود الفقيه بين المسلم والقرآن).

وبينما كنت تسمع أستاذه وأباه الروحي ومعلمه يحاول أن يسيء إلى سمعة أشخاص بأعيانهم من المشايخ والعاملين على رفع لواء الإسلام، ترى التلميذ الثائر يهاجم «الشيوخ الرجعيين المتعفنين الذين لا يحملون من الدين إلا التشدق بالكلمات الفصحى التي يتشدق بها حتى الشيطان!).

وهكذا تسفر المعركة بين الحق والباطل عن وجوه هؤلاء الباطنيين الذين ذكرهم الله عز وجل لنبيه بقوله «**ولتعرفنهم في لحن القول**».

وبعد:

٢٢

يقول الله عز وجل «**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**».

سورة التوبة: ١٢٢

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

ويقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد إنما يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

فهل نرضى أن نساهم في حملة تغيير معالم أوامر الله عز وجل وتقريرات رسوله عليه وآله الصلاة والسلام؟.

هل نرضى أن نكون سهاماً للكفرة الذين أرادوا قطع الصلة بين المسلمين وبين القرآن بتشويه سمعة العلماء؟.

هل نرضى بأن نكون من القوم الذين لا يجاوز القرآن تراقيهم، ومن الذين يتخذون رؤساء جهالاً ليفتوا بغير علم فيضلون ويضلون؟.

هل نرضى بأن نكون الجيل الذي لا يتدبر القرآن ولا يسمع تقريرات العلماء الذين يفهمونه ويتدبرونه، ندعي الانتساب للقرآن وأمته ونرفض هدى فاهميه ومفسريه الأعلام؟

أم نفوت الفرصة على أعداء الإسلام ونرد الهجمة ونبرىء ساحة علمائنا الصلحاء مما هم منه برءاء، ونرد هذه القصص والصور على أصحابها بدلا من أن نساهم في إشاعتها وتلقينها للأجيال القادمة!.

منهج التابعين

٢٣

بل نحن مسلمون، لا نرضى بالكذب على أي أحد، وأحر بنا ألا نرضاه على علمائنا. نحن من أصحاب منهج التابعي الجليل ابن سيرين حيث يقول: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم). ونحن لا نقبل العلم إلا من مسلم عالم عامل بعلمه ثقة، أما ما يشاع عن علمائنا من أكاذيب فهي من تمام جنود المعركة بيننا وبين أعداء ديننا، فنحن نثق بمن نعرفه معرفة يقين، ولنطبق أمر الله فينا «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**» وصدق الله العظيم وكذب المضللون المموهون الخادعون.

والحمد لله رب العالمين

المراجــع

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبوالحسن الندوي

رجال الفكر والدعوة في الإسلام (ج١) ـ أبو الحسن الندوي

المسلمون في الهند ـ أبوالحسن الندوي

التبشير والاستعمار ـ عمر فروخ ـ مصطفى خالدي

كفـاح ديـن ـ محمد الغـزالي

الثورة العربية ـ ت. أ. لورنس

من منشورات مكتبة الفاروق

١ـ دروس في الترتيل ـ فائز عبد القادر شيخ الزور.
٢ـ الوصية الكبرى ـ رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي ـ قدم لها وعلّق عليها وخرّج أحاديثها: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية.
٣ـ رسالة إلى المدرسين والمدرسات ـ عبد الواحد بن عبد الله بن عبد المحسن المهيدب.
٤ـ الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة ـ شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده ـ جمع: عبد الله بن إبراهيم القرعاوي.
٥ـ أختي المسلمة . . . من أمرك بالحجـاب ؟.

كتـب تحت الطبـع للناشـر

١ـ تزيين العبارة بتحسين الإشارة لملاّ علي القاري (تحقيق عثمان جمعة ضميرية).
٢ـ الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى ـ عثمان جمعة ضميرية
٣ـ خلاف الأمة في العبادات، لشيخ الاسلام ابن تيمية، (تقديم وتعليق عثمان جمعة ضميرية).
٤ـ تجريد التوحيد، للمقريزي، (تقديم وتعليق عثمان جمعة ضميرية).
٥ـ دعوة كريمة (مجموعة مقالات ـ عثمان جمعة ضميرية).
٦ـ الكوثري وتعليقاته ـ محمد بهجت البيطار.
٧ـ أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف ـ عثمان الصافي.
٨ـ بدع القراء ـ الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.
٩ـ الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي ـ محمد قطب.
١٠ـ منهج الدعوة إلى الله ـ أمين أحسن إصلاحي.

الفهرس